مقياس تيارات فكرية قديمة السنة الأولى ماستر ـ أدب حديث ومعاصر

الأستاذة: مفيدة عليوط

المحاضرة الثالثة: الزرادشتية

تُعدّ الزرادشتية من أقدم الديانات التوحيدية-الثنائية في العالم، ويعود تأسيسها إلى زرادشت الذي يُرجّح أنه عاش بين القرن العاشر والقرن السادس قبل الميلاد في المنطقة الممتدة بين إيران وأفغانستان الحالية.

مارست هذه الديانة تأثيرًا عميقًا في الفكر الديني والفلسفي في الشرق الأدنى القديم، تعتبر الزرادشتية ديانة أقلية، لكنّها ما تزال تُمارس في إيران وبعض مناطق الهند، ومن أبرز مفاهيمها:

1ـ الصراع بين الخير والشر

2ـ الحساب والبعث

3ـ الملائكة والشياطين

4ـ المُخَلِّص المنتظر

أولا/ السياق التاريخي لنشوء الزرادشتية

كانت البيئة الدينية في إيران القديمة غنية بالطقوس والآلهة المتعددة مجسدة كما يلي:

1ـ آلهة الطبيعة: الشمس، القمر، النار

2 ـ قوى الخير والشر

3ـ طقوس مرتبطة بالماشية والزراعة

4ـ كهنة يقومون بالقرابين وطقوس الشعائر

ثانيا/ المعتقدات الأساسية في الزرادشتية

1ـالإله الأعلى: قدم زرادشت تصورا لإله واحد وهو إله الحكمة والخير وهو مصدر كل القيم الجمالية (الحق، النظام، العدل، النور، الرحمة)، وكان يُنظَر إليه باعتباره الخالق المطلق الذي يحارب الشر.

2ـ ثنائية الخير والشر: من السمات الفلسفية العميقة للزرادشتية هو وجود صراع بين الخير والشر (الروح القدس/ الروح الخبيث)

لكن من المهم ملاحظة أن زرادشت لم يجعل الشر مساويًا لله؛ بل ربطه باختيار روحي منحرف.

3ـ الأخلاق والعمل: الزرادشتية تركز على ثلاثية أخلاقية محورية (الفكر الحسن – القول الحسن – العمل الحس) وهذه الثلاثية تُعد قاعدة النظام الأخلاقي للزرادشتي

4 ـ يوم الحساب والآخرة: تقدّم الزرادشتية تصورًا مفصلًا نسبيًا عن الحياة بعد الموت عبر المرور بالخطوات التالية:

ـ عبور "جسر المنشاد" (الصراط)

ـالحساب الفردي

ـ قيامة عامة

ـ تطهير العالم بالنار

ـ ظهور المُخلِّص

ـ الانتصار النهائي للخير

ثالثا/ بنية المجتمع الزرادشتي

تتسم البنية الاجتماعية في المجتمع الزرادشتي، وخاصة في عصورها القديمة في الإمبراطورية الفارسية، بكونها هرمية مع وجود طبقات اجتماعية متميزة، ولكنها في

نفس الوقت تؤكد على المسؤولية الفردية والمساواة الروحية بين جميع الناس أمام الإله أهورامزدا، فكان المجتمع الزرادشتي مقسماً إلى طبقات رئيسية متوارثة:

1ـ الطبقة الحاكمة والسلطوية :وتشمل الملوك، والنبلاء، وذوي السلطة القانونية والقضائية.

2 ــ رجال الدين (الموابذة/المجوس) :وكان لهم نفوذ كبير، ويتولون المناصب الدينية العليا، والإشراف على معابد النار، وتعليم الدين.

3ـ الفرسان والمقاتلون :ويمثلون القوة الدفاعية للمجتمع.

4ـ العمال/عامة الشعب :وهي الطبقة المنتجة التي تشمل المزارعين والحرفيين والتجار، ومع ذلك حتى في العصور القديمة كان الجميع يخضعون لنفس الواجبات والطقوس الدينية عند الولادة والبلوغ وعند الوفاة.

رابعا/ الكهنة و الشعائر الدينية

إن الكتاب المقدس في الديانة الزرادشتية هو الأفِستا Avesta، وهو المصدر الأساسي لتعاليم هذه الديانة القديمة على الرغم من أن المخطوطات القديمة لا تحتوي على النص بالكامل وتُظهر أن أجزاء منه تعود لزمن أقدم من زرادشت، وتنقسم في مجملها إلى نصوص طقوسية وأناشيد زرادشت القديمة والقوانين الدينية وأناشيد للملائكة والقوى الإلهية.

و يحتلّ الكهنة في الزرادشتية مكانة محورية في تنظيم الحياة الدينية، إذ يُعرف الكاهن باسم المغ (*Magus*)، بينما يُسمّى كبير الكهنة بـ الهيربذ .(*Herbad*)ويتولّى هؤلاء مهمة حفظ النصوص المقدّسة، وتلاوة "الگاثات" وأجزاء الـ"أفستا"، إضافةً إلى الإشراف على الطقوس وتنظيم الشعائر المرتبطة بالطهارة والنقاء، وينظر إليهم باعتبارهم حُماة للتعاليم الأخلاقية التي تركها زرادشت، ومسؤولين عن توجيه المجتمع نحو السلوك القويم ومقاومة قوى الشر.

أما الشعائر، فتقوم في جوهرها على مبدأ النقاء باعتباره طريقًا لمناصرة الخير ومن أهم هذه الشعائر طقس النار المقدّسة الذي يُعدّ رمزًا للحقيقة والنور الإلهي، فالزرادشتيون لا يعبدون النار بل يعتبرونها وسيطًا للطهارة وتجليًا للإله "أهورامزدا"، وتوجد ثلاثة مستويات من معابد النار:

1 ـ نار الدرجة الأولى (الأعلى قداسة)

2ـ نار الدرجة الثانية

3ـ نار الدرجة الثالثة

كما تُقام في المعابد صلوات يومية تُعرف باسم اليَسنا، تتلى خلالها نصوص مقدّسة ضمن أجواء من الطهارة الدقيقة، إذ يجب الحفاظ على نظافة الجسد والملابس ومكان العبادة.

وتشكّل شعائر الدفن جانبًا خاصًا في الزرادشتية، حيث يُجنَّب دفن الميت في الأرض أو حرقه، تجنّبًا لتدنيس العناصر الطبيعية، لذلك يُوضع الموتى في "أبراج الصمت" حيث تتكفّل الطبيعة بتحليل الجسد، وتبقى هذه الطقوس، على الرغم من تغيّر الظروف التاريخية علامةً فارقة في الهوية الدينية للزرادشتيين، إلى جانب احتفالاتهم السنوية مثل النوروز ومهرجان السده التي تعبّر عن علاقة الإنسان بالطبيعة والضوء وتجدد الحياة.

تمثّل الزرادشتية إحدى أقدم الديانات التوحيدية في التاريخ الإنساني، وقد شكّلت بمفاهيمها حول الصراع بين الخير والشر، وحرية الاختيار الأخلاقي، وتقديس العقل والنقاء، إطارًا فكريًا وروحيًا أثّر بعمق في حضارات فارس القديمة وفي جزء من التراث الديني اللاحق. وعلى الرغم من تقلّص عدد أتباعها اليوم، فإن رسالتها ما تزال تحتفظ بقيم إنسانية عالمية تدعو إلى السعي نحو الحق، ومواجهة الظلم، والعمل الصالح بوصفه جوهر خلاص الفرد والمجتمع .

مراجع مساعدة :

1 ــ أسامة عدنان يحي، الديانة الزرادشتية، دار آشور انيبال للنشر، بغداد، العراق، ط1، 2016

2ــ عبد الله العاباداني، تاريخ الديانة الزرادشتية، ترجمة عبد الستار قاسم كلهور، مؤسسة موكرهاني للبحوث و النشر، كردستان، ط1، 2011

3 ــ مناهج جامعة المدينة العالمية، الأديان الوضعية(رسالة ماجيستير)، الناشر/جامعة المدينة العالمية،كوالالمبور، ماليزيا، عدد الصفحات 488، دت